سلسلة السنن المهجورة والبدع المنشورة (٧)

بدعة إتخاذ الخطوط لتسوية الصفوف فى الصلاة

إعداد / على بن شعبان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

لا يفوتنى ونحن بصدد سلسلة السنن المهجورة والبدع المنشورة أن أُنبه على بدعة إتخاذ خطوط بالمساجد لتسوية الصفوف فهى وسيلة بدعية لم يفعلها النبى ولا الخلفاء الراشدن ولا أى صحابى ولم يُقر أى صحابى هذه البدعة أبداً ولنعرضها على قاعدة (السنة التركية) حتى نرد بذلك على من ادعى بأنها (مَصلحة مُرسلة) وبيان منشأ الخلل فى ذلك

فالدافع موجود عند النبى والصحابة فى إتخاذ الخطوط فى المساجد لتسوية الصفوف ، وليس هناك أى مانع يمنع النبى والصحابة من إتخاذ الخطوط لتسوية الصف ، فقد صلوا وهم قليل وصلوا وهم كثير وكان يصلى مع النبى العلماء والاعراب الجهلاء ، ومع ذلك لم يتخذ خطاً بل كان ينظم النبى والصحابة الصفوف بأنفسهم حتى لو استغرق ذلك منهم وقتاً وجهداً كثيراً ، فهذه مسئولية الامام ، فلما أراد الائمة التخلى عن هذه الوظيفة فعلوا هذه البدعة القبيحة

وإليكم الدوافع والموانع (وجود المُقتضى للفعل وانتفاء المانع من إتخاذ الخط) وكلام بعض العلماء فيه :-

الدوافع :-

١- تسوية الصفوف واجبة لقوله ﷺ (لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ) البخارى ٧١٧
وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب

٢- من باب التسهيل على الامام وراحته والتسهيل على المأموم

٣- سرعة اصطفاف المُصلين مما يؤدى الى وقت قليل للتسوية

٤- أن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة

٥- أن الناس اذا قاموا من الركعة الاولى الى الثانية أرادوا التسوية من جديد واذا لم يجدوا الخط أخذوا وقتاً فى التسوية فينشغلوا عن الصلاة

٦- كثرة عدد المُصلين واتساع المساجد مما يشق على الامام فى تسويتهم

٧- (إِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ) سنن ابى داود ٦٦٨ وصححه الالبانى

٨- لعل رجل غريب عن البلدة ولا يعرف أين القبلة فيرى الخط فيعلم كيف يتوجه للقبلة .

فإتخاذ الخط مصلحة مُرسلة أى لجعل الصلاة أكثر إتماماً أى أن الخط وسيلة للعبادة .

الموانع :- لم يمنع النبى ولا أصحابه أى شيء من تلك الدوافع التى مرت فكل الدوافع التى مرت كانت موجودة عند النبى والصحابة ومع ذلك لم يتخذوا خطاً فى المسجد يُساعد على تسوية الصفوف حتى لو كلفهم الامر وقتاً وجهداً كبيراً

نعم أُكرر حتى لو كلفهم الامر وقتاً وجهداً كبيراً ، وإليكم الدليل على ما أقول :-

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا إِذَا قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ ، فَإِذَا اسْتَوَيْنَا كَبَّرَ) . سنن ابى داود ٦٦٥ وصححه الالبانى

والحديث يُبين أن النبى لا يدخل فى الصلاة حتى يستووا سواء كانوا قليل أو كثير (باعتبار عدد المُصلين)
سواء أخذ فى ذلك وقت قليل أو وقت كثير ، سواء كلفهم ذلك مشقة أو لم يُكلفهم .

بل والله من أعجب ما تسمع فى هذا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يُرسل اُناساً الى الصفوف المُتاخرة لتسوى الصفوف ولا يدخل فى الصلاة حتى يأتوه ويُخبروه بأن الصفوف قد استوت ، فعلام يشق عمر على نفسه وعلى المُسلمين ؟ !! لماذا لم يُريح نفسه ويُريح المسلمين بإتخاذ خطوط فى المسجد ؟ !!

بل كان عمر لا يُكبر للصلاة حتى لو انتظر من الوقت الكثير !! حتى يأتى الرجال الذين وكلهم بالتسوية ، ولا يكتفى بمجرد إرسالهم ثم يدخل هو فى الصلاة ، لا كلا بل ينتظر رجوعهم ليخبروه بأن الصفوف استوت فيبدا الصلاة .

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي نَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، قَالَ : " كَانَ عُمَرُ يَبْعَثُ رَجُلا يُقَوِّمُ الصُّفُوفَ ، ثُمَّ لا يُكَبِّرُ حَتَّى يَأْتِيَهُ، فَيُخْبِرَهُ أَنَّ الصُّفُوفَ قَدِ اعْتَدَلَتْ " مصنف عبد الرزاق ٢٣٥١

عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : كَانَ عُمَرُ لا يُكَبِّرُ حَتَّى تَعْتَدِلَ الصُّفُوفُ ، يُوَكِّلُ بِذَلِكَ رِجَالا " مصنف عبد الرزاق ٢٣٥٣

وكون عمر يؤكل رجالاً يدل هذا على كثرة أعداد المُصلين وكثرة الصفوف

وهذا هو نص الحديث :

حَدَّثَنِي يَحْيَى ، عَنْ مَالِك ، عَنْ نَافِعٍ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ " كَانَ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ ، فَإِذَا جَاءُوهُ فَأَخْبَرُوهُ ، أَنْ قَدِ اسْتَوَتْ كَبَّرَ " مؤطا مالك برواية يحى الليثى ٣٧٤

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَدْلُ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ : مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمُزَكِّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ ، فَإِذَا جَاءُوهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنْ قَدِ اسْتَوَتْ كَبَّرَ . السنن الكبرى للبيهقى ٢٣٨٥

وليس عمر فقط هو الذى فعل ذلك بل كان يفعله غيره من الصحابة فقد ورد أيضاً عن عثمان

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْعَدْلُ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَمِّهِ أَبِى سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ ، وَأَنَا أُكَلِّمُهُ فِى أَنْ يَفْرِضَ لِى ، فَلَمْ أَزَلْ أُكَلِّمُهُ وَهُوَ يُسَوِّى الْحَصْبَاءَ بِنَعْلَيْهِ حَتَّى جَاءَهُ رِجَالٌ ، قَدْ وَكَّلَهُمْ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الصُّفُوفَ قَدِ اسْتَوَتْ فَقَالَ لِى :« اسْتَوِ فِى الصَّفِّ ». ثُمَّ كَبَّرَ.
السنن الكبرى للبيهقى ٢٠٩٢ ، مؤطا مالك برواية يحى الليثى ٣٧٥

وكون عثمان وعمر يقومون بتوكيل أشخاص لهذا ، فهذا يَدل على كثرة عدد المُصلين ، ومع ذلك لم يتخذوا خطوطاً

فعلام كل هذه المشقة هل كان عمر وعثمان والصحابة رضى الله عنهم لا يفهمون أن الخط مصلحة مُرسلة ؟ !!

هل من يتخذ خط فى المسجد ليسوى الصفوف به ، يفهم الواقع وتيسير الامور أكثر من الصحابة ؟ !!

هل جهل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وجميع الصحابة ذلك ؟ !! نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

بل ان الامر فى تسوية الصفوف الكثيرة وبدون إتخاذ هذه البدعة (الخط) استمر أيضاً بعد الصحابة

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قال : رَأَيْتُ أَحْرَاسَ بَعْضِ أُمَرَاءِ مَكَّةَ يَأْمُرُونَ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ ، وَلا يُصَلُّونَ مَعَ النَّاسِ "، فَقُلْتُ لِعَطَاءٍ : " أَعَجَبَكَ ذَلِكَ مِنَ الأَحْرَاسِ ؟ "، قَالَ : " لا وَاللَّهِ ، حَتَّى يُصَلُّوا مَعَ النَّاسِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ " مصنف عبد الرزاق ٢٣٥٨

فقد كانت سنة ماضية بعد فترة النبوة والخلافة الراشدة ، ولكن سبحان الله لما فرط الائمة فى هذه السنة (تسوية الصفوف بأنفسهم) ظهرت هذه البدعة (إتخاذ الخط) ، والله المُستعان

يقول الشيخ الصالح محمد بن صالح العثيمين : ومن ذلك ما حدث أخيراً فى مساجدنا من الفرش التى فيها خطوط من أجل إقامة الصفوف وتسويتها فإن هذا وإن كان حادثاً ولكنه وسيلةٌ لأمرٍ مشروع ، فيكون جائزاً أو مشروعاً لغيره ، ولا يخفى على الناس ما كان الأئمة الحريصون على تسوية الصفوف يعانونه قبل هذه الخطوط ، فكانوا يُعانون مشاكل إذا تقدم أحد ثم قالوا له تأخر. تأخرَ أكثر ثم قالوا له تقدم ، تقدم أكثر يحصل تعب . الآن والحمد لله يقول الإمام : سووا صفوفكم على الخطوط ، توسطوا منها ، فيحصل انضباطٌ تام فى إقامة الصف ، هذا بدعة من حيث العمل والإيجاد ، لكنه ليس بدعة من حيث الشرع ؛ لأنه وسيلة لأمرٍ مطلوبٍ شرعاً " اهـــ فتاوى نور على الدرب ٣٨

قلت : سبحان الله ألم يقرؤا هذه الاثار التى مضت ، هل جهل عمر وعثمان وعطاء وغيرهم من الصحابة والتابعين الواقع والتيسير والتسهيل على الناس ، فلا أدنى حرج أن نقول أن ما قاله العلامة العثيمين وغيره من الائمة خطأ بين وبدعة مُنكرة خالفوا فيها فعل النبى والصحابة والتابعين والقواعد الاصولية (السنة التركية) لوجود الدافع للفعل وعدم وجود مانع للفعل ، فلا يجوز لاحد تقليد هولاء الائمة ، فهولاء الائمة اجتهدوا ونحسبهم اصابوا اجراً واحداً .

وأما عن شبهتهم وهى : لعل رجل غريب عن البلدة ولا يعرف أين القبلة فيرى الخط فيعلم كيف يتوجه للقبلة .

أقول وبالله التوفيق : نحن مأمورون بالسؤال عن القبلة وليس فى هذا أى مشقة هو مجرد سؤال لاى شخص يمر فى الطريق ، فلا يجوز لنا إحداث بدعة لاجل التسهيل على الناس لهذه الدرجة من التساهل ، فما الضير فى أن يسئل الرجل أين القبلة حتى لو كلفه ذلك مشقة ، فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، فإن قيل أن القاعدة على أن المشقة تجلب التيسير ، يُقال بشرط أن يكون التيسير أيضاً من الشرع وليس من الناس وإلا لن يستقيم لنا الدين ، فكل شخص سيقول لا أُصلى فى الفجر فى الشتاء لان الجو قارص وعندما أستيقظ أُصلى لان المشقة تجلب التيسير وهكذا ، فهذا لا يصح فالعبرة فى ذلك فى تحديد المشقة والتيسير متروكة للشرع .

عَنْ النُّعْمَانِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّينَا فِي الصُّفُوفِ كَمَا يُقَوَّمُ الْقَدَحُ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنْ قَدْ أَخَذْنَا عَنْهُ ذَلِكَ وَفَقِهْنَا أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ بِوَجْهِهِ إِذَا رَجُلٌ مُنْتَبِذٌ بِصَدْرِهِ فَقَالَ : « لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ ، قَالَ : فَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُلْزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ ، وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ ، وَمَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِهِ » . سنن أبى داود ٦٦٢ ، ٦٦٣ وصححه الالبانى

القداح : هى خشب السهام حين تنحت وتبرى ، واحدها قدح بكسر القاف معناه يبالغ فى تسويتها حتى تصير كأنما يقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها .

وقد صرح كثير من أهل العلم من المُتقدمين ومن المُتاخرين ببدعية إتخاذ الخط فى المساجد لتسوية الصفوف وأن ذلك لا يدخل فى باب المصالح المُرسلة :–

قال الامام الشافعى فى الجديد : " ولا يخط المصلى بين يديه خطا إلا أن يكون ذلك فى حديث ثابت فيُتبع "

السنن الكبرى ٢ / ٣٨٣ برقم ٣٤٦٨ ، للبيهقى ، ط / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات

معرفة السنن والآثار ٣ / ١٩١ برقم ٤٢٣٠ ، للبيهقى ، ط / دار الوفاء القاهرة

الاستذكار ٢ / ٢٨١ برقم ١٨٥ ، لـــ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى ، ط / دار الكتب العلمية – بيروت

وقال الامام مالك فى المدونة : " الخط باطل "

المدونة الكبرى ١ / ٢٠٢ ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان

وقال الامام الليث بن سعد وأبو حنيفة النعمان : " الخط ليس بشىء "

الاستذكار ٢ / ٢٨١ برقم ١٨٥ ، لـــ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميرى ، ط / دار الكتب العلمية – بيروت

فظهر بهذه النقول أنه لا يوجد ضابط مُعين يُميز بين البدعة الحسنة - المزعومة - والبدعة السيئة ، سواء عند القائلين بهذا التقسيم ، أو عند غيرهم من أهل العلم ممن لا يقول بهذا التقسيم وقد ضربت مثال بالشيخ محمد بن صالح العثيمين فيما مضى وبينت كيفية وقوعه فى التناقض فى فتاواه بسبب عدم الاعتبار للدوافع والموانع (قاعدة السنة التركية) ولا يسلم الشخص من الوقوع فى هذا الاضطراب إلا بمتابعة السنة وترك الابتداع فى الدين .

ولن يتم لنا معرفة ذلك الا بـــ قاعدة السنة التركية ولن يتم التفريق بين البدعة والمصلحة المرسلة الا بهذه القاعدة أيضا .

وكتبه / على بن على بن على بن شعبان
القنطرة شرق ، الاسماعيلية
Facebook.com/moslam1
E MAIL : ALISHNB2007@YAHOO.COME